نافذةُ التُّراثِ الحِلِّيّ

كِتَابُ (بُغْيَةُ الطَّالِبِينَ لِـمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِن إِجَازَاتِ فَخْر المُحَقِّقِينَ)

م.د. مُحمَّد حَلِيم حَسَن الكُروِيّ
مركز تراث الحِلَّة

The Book (Bughyat Alttalibyn lima wasal ‘iilayna min ‘iijazat Fakhr Al-Muhaqqiqin)

Asst. Dr. Muhammad Halim Hassan Al-Karawi
Hilla Heritage Center

احتلَّ فخر المحقِّقين مكانةً كبيرةً في عصره، وصار عَلَمًا بارزًا في ميدان الفقه والكلام، حتَّى جلس على كرسيِّ تدريس والده العلَّامة بعد وفاته، ومؤخَّرًا صدر لفخر المحقِّقين أكثر من كتاب، جُمعت فيها مجموعة من رسائله القِصار، مثل: (رسائل متفرِّقة)، و(خمس رسائل)، كجهدٍ تحقيقيّ عن مركز تراث الحِلَّة التابع للعتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، ثمَّ صدر كتابٌ مهمٌّ تفرَّد في موضوعه، وهو كتاب (بغية الطَّالبين لِمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِن إِجَازَاتِ فَخْر الْمُحَقِّقِينَ) للباحث ميثم سويدان الحميريّ، عن دار الكفيل عام (٢٠١٩م)، إذ يقوم هذا الكتاب على جملة من المحاور التي يحاول من خلالها الباحث الوقوف على حيثيَّات الإجازات العلميَّة التي كان الفخر يعطيها لتلامذته، أو من يقرأ عليه كتبه من داخل العراق أو خارجه.

ونحن في هذه النافذة نسعى إلى وصف هذا الكتاب، وبيان محاوره، ومنهج الباحث في توزيع فِقراته؛ بغية تسليط الضوء عليه، وبيان الدور الكبير لفخر المحقِّقين في الحياة العلميَّة أبان الحقبة الزمنيَّة التي عاش فيها.

ولأجل ذلك لا بدَّ أنَّ نبدأ بالفخر، فنقول:

أولًا: فخر المحقِّقين

هو الشيخ أبو طالب، محمَّد بن جمال الدين الحسن بن يوسف ابن المطهَّر الحِلِّيّ، المعروف بـ(فخر المحقِّقين)، وجهٌ من وجوه الطائفة وثقاتها وفقهائها، وُلد يوم الاثنين ليلة العشرين من جمادى الأولى سنة (٦٨٢هـ)، نشأ على يد والده العلَّامة الحِلِّيّ، نشأةً علميَّة، حتَّى أينعَ وأصبح عالمًا فاضلًا، ومحقِّقًا بارعًا. روى عن والده العلَّامة، وعن جمعٍ من أعلام الفريقَين، وقد حَظِيَ بمكانةٍ كبيرةٍ عند المسلمين عامَّة؛ لما قدَّمه من

خدمةٍ للأمَّة الإسلاميَّة في عصرٍ حالِكٍ من عصور تلك الحقبة التي تسلَّط فيها المغول، وما بعدها.

تتلمذ الشيخ فخر المحقِّقين على يَدَي والده العلَّامة، وعلى عمِّه رضيّ الدين عليّ (ق ٧هـ)، فكانا مِن أهمِّ شيوخه وأساتذته؛ إذ تربَّى بحِجرِ والدِهِ، وأخذ عنه العلوم العقليَّة والنقليَّة، فبَلَغَ درجةَ الاجتهاد على يديه في سِنٍّ مبكِّرةٍ من عُمُره الشريف، وكان العلَّامةُ يُعظِّمه، ويُثني عليه في كثير من المواضع، ويعتني بشأنه كثيرًا، فكان من أجلِّ تلاميذه، حتَّى أنَّه ذَكره في صدر جملة من مصنَّفاته الشريفة، وأَمَرَهُ في وصيَّتِهِ التي ختمَ بها (قواعد الأحكام) بإتمام ما بَقِي ناقصًا مِن كتبه بعد حلول الأجل، وإصلاح ما وُجِد فيها من الخلل، وحالهُ في علوِّ قدره، وسموِّ مرتبته، وكثرة علومِه، أشهرُ مِن أن يُذكر، ومِن ملامح فضله اشتراكه مع أبيه العلَّامة في منح بعض تلامذة أبيه إجازات بالرواية، مثل محمَّد بن أبي طالب بن محمَّد الآويّ، الذي قرأ كتابَ (مراصد التدقيق ومقاصد التحقيق) عليه وعلى والده مصنِّف الكتاب سويَّةً، فأجازاه بعد إنهاء قراءة الكتاب عليهما في التاريخ نفسِه، وكان ذلك في (٤) جمادى الآخرة سنة (٧١٠هـ) بالسلطانيَّة. ومن تلاميذه: (الشهيد الأوَّل، بهاء الدين عليّ ابن السيِّد عبد الكريم ابن عبد الحميد الحسينيّ النيليّ، المحدِّث الفاضل بدر الدين حسن بن نجم الدين المدنيّ، المحقِّق العلَّامة فخر الدين أحمد بن عبد الله المتوَّج البحرانيّ، السيِّد العلَّامة تاج الدين محمَّد بن مُعَيَّة الحسنيّ)، وغيرهم.

لشيخنا المترجَم جملةٌ مِن المؤلَّفات والرسائل التي شكَّلت تراثَه، نذكرُ منها: (إجابات مسائل السيِّد علاء الدين عليّ بن زهرة، أجوبة المسائل الفقهيَّة، أجوبة مسائل فقهيَّة لبعض الأجِلَّة، أجوبة المسائل المهنَّائيَّة، إرشاد المسترشدين وهداية الطالِبين، إيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد)، وغيرها كثير.

توفِّيَ رحمه الله ليلة (٢٥ جمادى الآخرة سنة ٧٧١هـ) عن عُمُر ناهزَ تسعًا وثمانين سنة، وأرَّخَ السيِّد هادي كمال الدين سنة وفاته بما نصُّه:

فَبَعْدَهُ آثارُهُ

إِنْ مَاتَ أَرِّخْ: (عَاشَتْ)

ثانيًا: أهمِّيَّة الإجازات

ليس يخفى على ذي لُبٍّ ما للإجازات العلميَّةِ مِن فوائدَ جليلةٍ تكشفُ عَن ذاكرةِ تاريخنا العِلميّ المُشَرِّف، فَهِيَ لونٌ معرفيٌّ أثمَرَهُ النظامُ التربويُّ الإسلاميُّ، إذ وُلِدَت في فضاء الحَلَقاتِ العِلميَّة عند المسلمين، وتجذَّرت كتقليدٍ مُتَوارَثٍ يُسهِمُ في تنظيمِ تلقِّي العِلم وتداولِهِ بين الأجيالِ، وكذا يُسهِمُ في تَصنيفِ الرُتَبِ العِلميَّة للدارسين، بعد تقنينِها بدقَّةٍ وصرامةٍ، وبعد وضعِ ضوابطَ واضحةٍ لمنحِها، فَمِن خلالِها يُمكنُ أن نُلائِمَ بين ما ورثناهُ مِن السَّلَفِ، وما بَلَغَتهُ الحركةُ العِلميَّةُ، وما أفضَت إليه مِن مَراتبَ عِلميَّة في عصرنا هذا، إذ تُعَدُّ الإجازات وثائق مهمَّة تُساعِد في تحديد صورة الحياةِ الفكريَّة والاجتماعيَّة للمجتمعات الإسلاميَّة آنذاك، ومعرفةِ طبيعتها، وذلك باستنطاق ما تحويه.

وكذا تُعَدُّ الإجازات مِن أهمِّ الوثائقِ والسجلَّات التي احتفظت لنا بعددٍ غفيرٍ مِن أسماء طلبة العِلم في التاريخ الإسلاميّ، الذين لَم تستوعبهم مصنَّفاتُ الرجال والتراجم، وربَّما أدرَجَتهُم هذه المصنَّفاتُ، غيرَ أنَّها لَم تمنحنا المعلومات الوافية التي تحدِّد عصرَهم وطبقتَهم ومشايخَهم، وموقعَهم في مسار الحركة الفكريَّة، أو ربَّما ذكَرَت شيئًا مِن ذلك لكن فيه من الوَهم ما فيه، فيكون حينَها ما تحويه تلك الوثائقُ مِن معلوماتٍ هو القولُ الفَصل.

ومِن فوائِدِها أيضًا أنَّها تُعَدُّ قناةً للتواصل مع السـلَفِ، فَمِن خلالِها يُطمَأنُّ بِنِسـبَةِ مؤلَّفـاتِ الماضين وآثارِهم إلى أصحابِها، بنحوٍ يقطـعُ الطريقَ على انتحالِ آثار الآخرين ونِسبَتِها إلى غيرِ أصحابِها.

زيادةً على ذلك، فإنَّ الإجازات تزوِّدنا بمعلوماتٍ مهمَّة عَن مؤلَّفاتِ الإسـلاميِّين في سـائِرِ حقولِ المعرفَة، فإنَّ بعضَ الإجازات يضُمُّ طائفَةً مِن عناوين مصنَّفاتِ شـيوخِ الإجازة، حتَّـى أنَّ غيرَ واحِدةٍ مِن الإجازات تكاد تكـون بمثابَةِ قوائم تحصـرُ مؤلَّفات أولئـكَ الشـيوخ بتمامِهـا، بنحوٍ قد لا نعثـرُ عليـه في الببليوغـرافيـات الخاصَّة بالتراث الإسلاميِّ.

فكان فخرُ المحقِّقين محمَّد ابن العلَّامة الحِلِّيّ الحسـن بن يوسـف ابن المطهَّر واحِدًا مِـن جُملَةِ أولئك العلماءِ الأفـذاذ الذين أجازوا كثيرًا مِن طَلَبَةِ العِلـم، وجُملةً مِن العلماءِ الأعلام، بإجازاتِ رواية، وإنهاءاتِ قراءة، ذلك العَلَمُ الذي شَـهِدَ له القاصي والداني بالعِلـم الوفير، وحذاقة التفكير، ودقَّة النظر، وبراعة التحقيق، فكانَ أُسـوةً حسـنةً مِن أوضحِ مَصاديق الكِرام.

ثالثًا: سبب التأليف

لَم يجِد الباحث- كما يقول- عَمَلًا يَجمَعُ إجازاتِ الفخر وإنهاءاتِه في كتاب؛ ليسـهل الرجوع إليها، إلَّا ما قامَ به سـماحةُ السيِّد جعفر الحسينيّ الأشكوريّ (زادَ اللهُ توفيقَه)، إذ جَمَـعَ (١٩) إجازةً وإنهـاءً، رتَّبَها بعنوان (إجازات فخر المحقِّقين)، ونَشَـرَها في مجلَّة (ميراث حديث شيعه: ١٤/ ٤٢١).

لكـن لَـمَّا رأيـتُ أنَّ كثيرًا مـن إجازاتِه وإنهاءاتِـه لم تكن في جُملَة ما جمعَهُ السـيِّدُ جعفر الأشـكوريّ، وأنَّ ما جَمَعَهُ منهـا لَم يكُن محقَّقًا، بدا في خاطري أن أقومَ بهذه المهمَّة

المُشَرِّفة.

وهـــو بِـــسَـــبَـــقٍ حـــائـــزٌ تـفـضـيـلا
مُـــسـتَـــوجِـــبٌ ثَـــنـــائـــيَ الجـمـيـلا

فَرَجَـوتُ اللهَ أن يُوفِّقَني للقيامِ بهذه المهمَّـة وإتمامِها، فكان التوفيقُ، بحمدِه تعالى، قرينـي في هذا العمل، ببركة دعاء الوالدَيـنِ والطيِّبينَ، إذ أثمَرَ ظهورَ هذا الكتابِ الماثلِ بين يَدَي القارئ الكـريم، وقد وَسَمتُه بـ(بُغيَة الطالِبين لِما وَصَلَ إلَينا مِن إجازات فَخر المحقِّقين).

رابعًا: أقسام الكتاب

بعد (التمهيد)، قسَّم الباحث الكتاب على فصلَين، وهما:

١. **الفصل الأوَّل**: تضمَّنَ شـيئًا مِن سـيرَة فَخرِ المحقِّقين، إذ تناول حياته بشكلٍ مُوجَزٍ، فتكلم عن: (اسـمَه، مولدَه ولقبَه، نشأتَه، مكانتَه عند والده، شيوخَه، تلاميذَه، مؤلَّفاتِه، أقوالَ العلماءِ فيه، وفاتَه ومَدفَنَه).

٢. **الفصل الثاني**: في إجازاته وإنهاءاته، وقسَّمه على مبحَثَين:

- **المبحـث الأوَّل**: تضمَّنَ الإجازات الممنوحة لفخـر المحقِّقين، وإنهاءات القراءة التي كُتِبَت له.
- **المبحـث الثـاني**: تضمَّنَ الإجـازات التـي مَنَحَها فخـرُ المحقِّقين لبعض تلامذتِـه ومُجازيه، وإنهاءات القراءة التي كتبها لهم، وجاء على مِحوَرَين: الأوَّل: في الإجازات، والثاني: في إنهاءات القراءة.

وبعد إكمال المبحث الثاني، خُتِم الكتاب بملاحقٍ ثلاث، كانت على النحو الآتي:

المُلحَقُ الأوَّل: في ذِكرِ جُملَةٍ مِن الفوائد التي تخصُّ الروايةَ عن فَخر المحقِّقين، مِنها الإشارة إلى بعض الإجازات والإنهاءات التي تُرجَّح نسبتُها إليه، مكتفيًا بمظانِّ ذِكرِها دونَ نصوصِها؛ لِعَدم حصولي عليها.

والمُلحَقُ الثاني: تضمَّن جدولًا بأسماء المُجازين مِن الفخرِ، وذِكرِ إجازاتِهم وإنهاءات القراءة التي كُتِبت لهم، مع ذِكر تواريخِها مرتَّبةً ابتداءً بالأقدَم فالأقدَم، وذِكرِ أماكن مَنحِها؛ ليسهلَ على القارئ الاطِّلاعُ على مُجمَلِها.

والمُلحَقُ الثالث: تضمَّنَ مُصَوَّراتِ جُملةٍ مِن نُسَخ الإجازات والإنهاءات، منها ما هو بخطِّ المُجيز، ومنها ما هو بخطِّ المُجاز، ومنها ما هو منقولٌ عن خطِّ أحدِهما، بدون واسطة أو بواسطة، وهذه المصوَّراتُ تُعدُّ مِن الوثائقِ المهمَّة جدًّا في تراثنا المُشَرِّف.

وبناءً على التقسيم المتقدِّم، جمع الباحث مِن إجازات والإنهاءات، فتحصَّلَ عندي (١٨) إجازةً مُنِحَت للفخر، وإنهاءُ قراءةٍ واحِد.

وأمَّا الإجازات والإنهاءات التي مَنَحَها الفخرُ فَهِيَ (٣٢) إجازة، و(١٩) إنهاء قراءة، لـ(٢٧) عَلَمًا مِن تلامذتِه ومُجازيه، كانت حصَّةُ بعضِهم أكثر من إجازة وإنهاء، على كُتُبٍ ورسائلَ مختَلِفة، وفي بلدانٍ عِدَّة.

رابعًا: منهجيَّةُ العمل

كان منهجُ الباحث في هذا الكتاب هو جمع الإجازاتِ والإنهاءات وتحقيقها، وقد رَجَع في تقييدِها إلى أصولِها المخطوطة، فَوَجد اختلافًا في نَصوصِ بعضِ الإجازات أو الإنهاءات بين المكتوب في المخطوط مِن جهة، والموجود في باقي المصادر مِن جهةٍ

أُخرى، وتارةً يكونُ الاختلافُ بين المصادر التي نَقَلت نَصوصَ بعضِها، لكن لَم يُشر إلى ذلـك الاختلاف إلَّا في بعـضِ الموارِد بالنحوِ الذي يقتَضيهِ المقـامُ في محلِّه، ورُبَّما صوَّب مـا في المصـادر وَزاد عليه، اعتـمادًا على ما في المخطـوط، مِن دون الإشـارة إلى ذلك في الغالِب؛ لسهولة الرجوع إليها في مُلحَقِ المصوَّرات.

والتي تَعذَّرَ عَلَيَّه تقييدُها عن أَصلِها المخطوطِ، فقد رجع فيها إلى المصادر والمراجع مِن كُتُب الإجازات والتراجم وفهارس المخطوطات.

وأمَّا التي لَم يتوصل إلى تحصيلِ نصِّها، أو موضِع كتابتها، أو البلَدِ الذي كُتِبَت فيه، فقد وَضَع أمامَ كُلِّ فِقرَةٍ منها ثلاث نقاط (...)؛ للدلالة على ذلك.

وكذلـك اعتمد الباحث في ذِكـرِ بَعضِ إجازاتِه التي مَنَحَها عـلى ما أخبَرَ به بعضُ الأَعـلام مِـن المتأخِّرين عنه غـيرَ بعيد، مِن أنَّه يروي عن الشـيخ محمَّد بن الحسـن ابن المطهَّـر، لكن مِن دون العثور عـلى نصِّ الإجازة، فَلِذا اكتفى بتلك الإشـارة مِن المُجاز الراوي عن فخرِ المحقِّقين.

ولَم تخـلُ تلك الإجـازات والإنهـاءات مِـن الفوائـد والتحقيقـات والتصويبات والاسـتدراكات بالقدر الممكن، سـيَّما الإجـازة رقم (١) في المِحـور الأوَّل مِن المبحث الثاني، فبعد أنْ أثبَتَ النَّاسِـخُ- بِسَـعْيٍ مَشـكُور وعَمَلٍ مَبرُور- هذه الإجازةَ مُصرِّحًا بإبقاء ما فيها مِن خَلَل وأغلاط على حاله، مِن غير إصلاح أو تغيير، قائلًا: بَذَلتُ بحمد الله تعـالى في تحقيقِهـا وضَبطِ أسـانيدِها ما تمكَّنتُ مِـن جُهدٍ، بالقدر الذي سَـمَحَت به الطاقةُ وبَلَغَه النظرُ، واللهُ العالِـمُ بحقائقِ الأمور.

ومـا كان في تلك الإجازات والإنهاءات موضوعًا بـين معقوفَين [ ] فهو زيادةٌ مِن الباحث يقتضيها المقامُ، أو السياقُ، أو لزيادةِ توضيح.

وأمَّا الأعلامُ الواردةُ أسماؤهم في أسانيد الإجازات، وكذا الأَعلامُ المُجازون، فقد ترجم لأكثَرِهم في أوَّلِ ذِكرٍ له، في فصلِ الإجازات الممنوحة مِن قِبَل فخر المحقِّقين، ما خَلا بعضهم ممَّن لم يَقف له على ترجمة بعد استفراغ الجهد في البحث والتنقيب، ومَن لَم يقِف على ترجمته مِن المجازين فقد ذَكر أنَّه كان تلميذًا للفخر ومُجازًا مِن قِبَلِه، ليس أكثَر، مشيرًا إلى كلِّ ذلك في محلِّه، ومَن ترك اسمَهُ مِن دون إشارة أو ترجمة فهذا يعني أنَّه قد تقدَّمَت ترجمتُه.

وفي الختام اعتذر الباحث عن التقصير في عمله إن وجِد، فقال متمثِّلًا:

فَإِن كَانَ فِيهِ بَعضُ شَيءٍ يعيبُه
فكُلُّ كِتابٍ خُطَّ لم يَخلُ مِن عَيبِ